المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الرابع والثلاثون

العدد الثاني - ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

رئيس مجلس الإدارة
د. عامر حسن فياض

رئيس التحرير
د. محمد حسين الأعرجي

الهيئة الاستشارية
د. نجاة الحديثي
د. عماد مطر الموسوي
ا. يوسف كريم الركابي
أ.د. نوري جعفر سلوم
خالد المطلبي
الاستاذ حسن عربي

هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
احمد عبد زيدان

سكرتير التحرير
محمود الظاهر

التصحيح اللغوي:
سليم سلمان
نجلة محمد
امل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم
جنان عدنان لطيف
ياسر بدر ياسم

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران، الإمارات: ٢٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ٣ دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ رهماً.

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة - الأعظمية - ص.ب: ٤٠٣٢ بغداد جمهورية العراق
هاتف: ٤٤٣٦٠٤٤

المشاركة السنوية

٥٥ دولاراً في الأقطار العربية.

لوحة الغلاف/ رافع الناصري

Email: dar-iraqculture@yahoo.com

المحتويات

* كلمة رئيس التحرير ٣ ـ ٤

* [illegible] ..... أسماء حسن الأعظمي ٥ ـ ٢٢

* [illegible] ..... [illegible] محمد الحسن ٢٣ ـ ٣٢

* [illegible]

في الفرزدق [illegible] ..... د. طارق نافع الحمداني ٣٣ ـ ٤١

* [illegible] ..... د. وليد عبد المجيد ابراهيم ٤٢ ـ ٤٦

* [illegible] ..... عاطفة التكريتي ٤٧ ـ ٦٩

* [illegible]

الاختلاف والمائل في الدوابيت ..... د. محمد جواد محمد سعيد ٧٠ ـ ٨٢

[illegible]

ديوان أبي الفرج الببغاء

النسخة الكاملة / القسم الخامس ..... شاكر العاشور ٨٣ ـ ١١٨

[illegible]

للعلامة الدكتور مازن المبارك

[illegible] ..... عبد العزيز ابراهيم ١١٩ ـ ١٤٢

[illegible]

معجم الشعراء المخضرمين

اعداد / د. عويض عبد الرحمن ..... نقد / مهدي عبد الحسين النجم ١٤٣ ـ ١٤٧

اخبار التراث العربي

اخبار التراث العربي ..... اعداد / حسن عربي الخالدي ١٤٨ ـ ١٦٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

في نقد النقد
القراءة المعيبة في نقد الشعر عند قدامة بن جعفر

د: نادية هناوي سعدون
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

المبحث الاول
تعريف القراءةالمعيبة لغة واصطلاحا

قال صاحب اللسان نقلاً عن ابن سيدة إن العاب والعيب الوصمة والجمع أعياب وعيوب. والعاب والمعيب العيب. وقوله تعالى (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب يعني السفينة. والمعايب العيوب وشيء معيب ومعيوب ومعاب أي عيب. والعرب تقول: المسار والمسير والمعاش و المعيش والمعاب والمعيب.

واصطلاحا : فعل كتابي بترصد مواطن الرداءة، ومواضع السوء في النص المقروء ، وبناء على تصور تنظيري سلبي يتسلط فيه القارئ بفضح عيوبه وإكراه المتلقي على تقبل ما تطرحه عليه من السلب والتغريب والتهميش والتخطئة أحياناً. وقد طرق ابو الفرج قدامة بن جعفر في مصنفه (نقد الشعر) هذا النمط من القراء النقدية؛ بعد أن وجد أن من تحدثوا في علم الشعر بمعز تخليص جيده من رديئه قد تخبطوا؛ فقليلاً ما يصيبون وأنهم قصروا عن وضع كتاب في جيد الشعر ورديئه فكان ذلك كله دافعاً له إلى تأليف كتاب (نقد الشعر).

وإذا كان القسم الأول من كتابه مخصصاً لاصطيا عيوب الشعر؛ عبر قراءات نقدية توزعت بين العناصر الاربعة التي حددها قدامة وهي (اللفظ والمعنى والوزن والقافية)، وما ينتج عنها من ائتلاف بعضها ببعض من عناصر مركبة، فلماذا أعطى قدامة العيوب هذا الاهتما وهل كان مصيباً في قراءاته تلك؟ وما الغاية التي كان يسعى وراءها؟ ولماذا قصر تمثيله واستشهاداته على نصوص شعرية معروفة، ولم يضف إليها من النصوص

الشعرية المحدثة إلا النزر اليسير؟ هل كان منساقا وراء التعصب للقديم واستهجان المحدث؟ وهل أكره القراء أو المتلقين على موافقته على تلك القراءات المعيبة؟ أكان يبغي بعمله هذا التمرد على المعاهدة الأدبية أو العرف المعتاد، وأن يكون حكماً وجلاداً معاً؟

ولأجل الإجابة عن هذه الاسئلة وغيرها سنحاول أن نقدم توضيحاً ووصفاً لمظان تلك القراءات أو مواضعها ثم نتبعهُ برصد قرائي لأهم سماتها أو مميزاتها؛ لنخرج بمحصلة تلخص بعض الإجابات وتعطي الأسئلة المقدم ذكرها بعض التعليلات.

المحبث الثاني

مظان القراءة المعيبة في نقد الشعر

لقد توزعت مظان القراءة المعيبة بين العناصر البسيطة والمركبة في الشعر، فأما البسيطة منها فهي (اللفظ والمعنى والوزن والقافية) وقد اقتصر العنصر الأول(اللفظ) على المعاظلة في حين شملت مظان القراءة المعيبة للمعنى أغراض الشعر ومعانيه وهي (المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والغزل ومعان عامة) وذهبت مظان القراءة المعيبة للوزن إلى الآتي:

١] الخروج على العروض

٢]التخليع

٣]الزحاف

وفيما يتعلق بمظان القراءة المعيبة للقافية فقد تحددت بـ:ـ

١] الاقواء

٢]التجميع

٣]الإيطاء

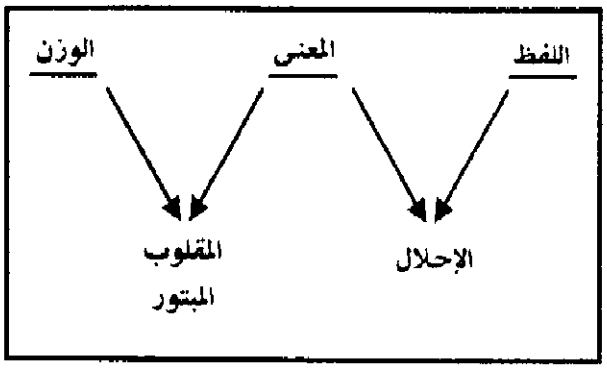

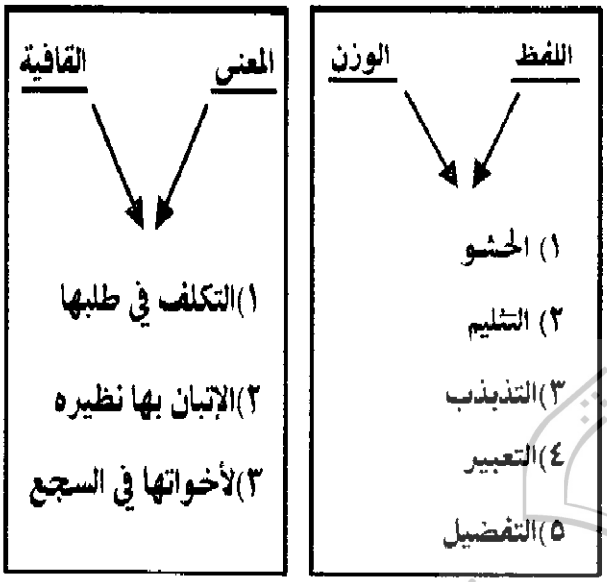

٤]السناد

وأما العناصر المركبة فقد تشكلت مظان قراءاتها المعيبة كالآتي:ـ

وإذا كان مجموع المظان ستة وعشرين موضوعاً في القراءة المعيبة، فإن حصة العناصر البسيطة منها كانت نسبتها أعلى من حصة العناصر المركبة بما يقارب ٧٥%، فضلا عن ابتسار المظان الباحثة في عيوب القافية. فلم يتكلم قدامة بن جعفر على ائتلاف اللفظ مع القافية ولا ائتلاف الوزن مع القافية. وقد يعود السبب إلى أن قدامة لم يجد أمثلة تحقق له صحة تقسيماته المنطقية تلك؛ فالأدب (شعراً أو نثراً) إبداع قد يخالف المألوف والمنطقي.

المبحث الثالث

سمات القراءة المعيبة عند قدامة

امتازت القراءة عند قدامة بسمات كثيرة أهمها:ـ

اولاً: إنها معيارية تكيل بمكيالين وتناقض بعضها بعضاً أحياناً.

إن المفهوم المعياري يمثل نظاماً أو مساراً يحدد أفق الكتابة النقدية، ويضبط سننها التي بها يواجه الناقد فهم المتلقي، ويمكنه من تذوق النص الشعري بشكل قسري أو جبري لا عدول عنه... وهذه السلطة التي يمارسها الناقد تتأتى من هذا الإلزام المعياري الإخضاعي الإتباعي. وهكذا صارت الرؤية القرائية تقوم على أحادية الناقد بدلا من ثنائية الناقد/ الشاعر وقد شكل الإطار المرجعي أفقا موحدا في عملية الإبداع والقراءة وكأنهما بنية موحدة بين المبدع/ الشاعر والقارئ/ الناقد. وهذا ما أساء إلى عملية التوصيل بسبب الانقطاع المتسع الدلالة بين الاثنين معا؛ فكان هذا الاطار متميزاً بالكثافة والإيحاء والغموض والغرابة بما يجعل القراءة مغامرة وكشفاً، ويسميها في أحايين كثيرة بالتناقض والتضاد[1]. والأمثلة على هذا التوجه في القراءة عند قدامه كثيرة منها ما ذكره في مجال الحديث عن عيوب اللفظ فحددها في (اللحن والجري على غير سبيل الأعراب وعدم الاستعمال والشذوذ والوحشية)[2]، فجعل منها معايير لقياس جودة الشعر أو رداءته لكنه أجاز للقدماء؛ ذلك أنهم لا يأتون بها إلا على سبيل السجية، وعدم التكلف[3]، وبما يعطي طرق هذه العيوب المشروعية في الشعر للقدماء وينفيها عن المحدثين الذين أسماهم (أصحاب التكلف) من خلال الاستشهاد بالأبيات من دون التعليق عليها بقراءة توضح للمتلقي مواطن العيب اللفظي.

وقد يكون ذلك بسبب القصور في اصطياد مواطن السوء في النص الشعري المقروء أو التغاضي عما يبتغيه المتلقي؛ بوصفه طرفاً ثالثاً مكملاً للثالوث النقدي(الشاعر والقصيدة والمتلقي). مع أن قدامة لم يغفل المناسبة التي قيل فيها الشعر الممثل به في معرض الحديث عن عيوبه اللفظية.

ومثل هذا يقال في القراءات المعيبة للفظ من جهة فضاعة التوحش مكتفيا بذكر الأبيات ومناسبة القول والقائل، فإذا وصل الى عيب المعاظلة حدد لها معيارا هو الفحش في الاستعارة بعد أن مثل لها بنماذج شعرية قليلة وجدها تصطدم مع نماذج شعرية جاهلية؛ لذلك استدرك بمعاذير تجيز لـ(امرئ القيس وزهير وعنترة وطفيل وعمرو بن كلثوم وأبي ذؤيب والمخبل) استعمالها لأنها على حد قوله: (ليست منافرة للعادة ولا بعيدة عما يستعمله الناس) [4]؛ علماً أن المعايير الاخرى عند قدامة هي (منافرة العادة ومداخلة الشيء في غير جنسه وعدم اللائقية وبقاء النكير) وهو لم يعط المعاظلة تعريفا خاصا بها بل اكتفى بما سمع من قول أحدهم فيها وسؤاله آخرين عنها. [5]

ثانيا/ تسلطية ـ إكراهية:

كانت لقدامة بن جعفر رؤية نقدية تسلطية وهو يترصد عيوب الشعر فصار الفعل الكتابي عنده عبارة عن جهد واع يوازي او يفوق الفعل الإبداعي؛ ففي حديثه عن عيوب الوزن ومنها التخليع قال: (هو خروج الوزن عن الذوق السليم) [6] فما يكون للمتلقي إلا أن يذعن لهذا التحديد غير المغني فارضا عليه تقبل الفكرة

على نصوص شعرية لشعراء جاهليين أمثال الأسود بن يعفر وعروة بن الورد وعبيد بن الأبرص؛ ثم قال: (فما جرى من التزحيف هذا في القصيدة او الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحا من اجل إفراطه في التخليع واحدة ثم من أجل دوامه وكثرته ثانية) . [٧]

وذكر من عيوب القوافي في التجميع ومثل له ببيت من شعر عمرو بن شأس والشماخ وكذلك فعل مع (الإقواء) مستشهداً بشعر القدماء . وإنه في شعر الأعراب كثير وهو لا يقع عند المولدون لأنهم عرفوا عيبه؛ من دون أن يكترث لأمر المتلقي، فلا يوضح له ولا يعلل بنماذج ولا يعلق على ما يطرحه بتمثيل شعري. وهكذا لا سلطة للمتلقي ولا سلطة للنص الشعري نفسه على قدامة إذ كيف عرف المولدون الإقواء ولماذا جزم بعدم وقوعه عندهم، هل كان يستند الى حجة إحصائية أو دليل منطقي يؤكد خلو شعر المحدثين المولدين من الإقواء، وإذا كان الامر كذلك فهل يعني هذا أنه ينتصر للشعر المحدث ويتحامل على الشعر القديم.. ولو أن قدامة وضع المتلقي/ النص ثنائية في رصده النقدي هذا لتوصل إلى نتائج لا تسلط فيها ولا إكراه .. ومثل هذا يصدق أيضاً على عيوب القوافي الاخرى اعني (الإيطاء والسناد) فقد عرفهما تنظيرياً ولم يمثل لهما إجرائيا الا ببيتين من الشعر فقط. [٨]

إن خطورة التسلط النقدي تتأتى من أنها تحيل المتلقي إلى مستهلك سلبي محض؛ بدلا من أن يكون مشاركا له مثل ما للناقد من دور في التوجيه والحكم والتأمل والتعليل والاستقراء والاستنباط. وان خطورة هذا الموقف قد تفضي الى هجر المقروء وعدم تذوقه؛ وهذا ما يشكل قطيعة مع الشعر لا سيما في أغراض المديح والهجاء والرثاء والغزل الذي يتجه نحو التغني بالصفات الجسدية بدلا من الفضائل النفسية. [٩]

ثالثا/ قاصرة أو سلبية

إن القراءة المعيبة عند قدامة هي قراءة مكتفية بالايجاز المخل، سواء من حيث التنظير أو التخييل والقصور الذي يوقع المتلقي في الحيرة والارتباك، فمثلا انه لما قدم الى ذكر العيوب العامة للمعاني اكتفى بالقول: إن عمومها كعموم النعوت التي قدم ابوابها وعددها في القسم الأول من كتابه .. ثم اكتفى بذكر فساد التقسيم ولم يمثل له، وفساد التكرير ودخول أحد القسمين في الآخر، وفساد المقابلات وفساد التفسير [١٠] فإذا وجد أن هناك تعارضاً بين المعاني(النعوت) التي سبق أن ذكرها ، والعيوب التي يعزم أن يذكرها ؛ نراه يفصل القول كأنه يستدرك على قراءاته السابقة أو كأنه يحس أنه قد قصر فيها. ففي عيوب ايقاع الممتنع فرق بينه وبين المتناقض فهذا الاخير لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم. والممتع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم[١١] فهو يخرج عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع الى حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع، واقتصر في التمثيل له ببيت واحد لأبي نواس:

يا أمين الله عش أبدا دم على الأيام والزمن

ونرى في تعليقه النقدي على هذا البيت رؤية سلبية إذ يقول: ((فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله عش أبداً، او دعا له. وكلا الأمرين مما لا يجوز مستقبح..إن هذا وما أشبهه ليس

غلوا ولا إفراطاً بل هو خروج عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع الى حد الممتنع))[١٢].

ومن مواطن التقصير والاقتضاب أيضاً ما نراه في بعض قراءات قدامة من عدم إيفائه بالتعريف فضلا عن توجهه السلبي في التمثيل والتعليق، من ذلك، مثلا، حديثه عن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، ذكر منها الأول وهو الإخلال معرفا إياه بأنه (أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى) ومثل له بقول عبيد بن عتبة بن مسعود وعروة ابن الورد والحارث بن حلزة. والثاني هو عكس العيب المتقدم وعرفه((بأن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى))[١٣] ومثل له ثم ذكر من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن الحشو والتثليم والتذبذب والتغير والتفصيل.. أما عيوب ائتلاف المعنى والوزن : المقلوب والمبتور وسار على الشاكلة نفسها في الاقتضاب والابتسار. ومثل هذا يقال عن عيوب ائتلاف المعنى والقافية وهي التكلف في طلب القافية والإتيان بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع.[١٤]

رابعا/ نفعية ـ ادعائية:

ان هذا النمط من التوجه النقدي في قراءة الشعر العربي قديمه وحديثه قد ينطوي على غايات نفعية يريد القارئ من خلالها الانتفاع بتأكيد النقدية تارة، وفرض املاءاته على قرائه تارة اخرى؛ من دون أن يكون للقيم الجمالية او الفنية دور يذكر في التوجه النقدي ذاك؛ فهو يسعى الى افهام الشاعر أولاً كيف يبدع والمتلقي ثانيا كيف يقوم الشعر الذي يسمعه؛ وبذلك يحيل فعل الابداع إلى فعل تعليمي متناسيا أن الإبداع فعل يتمازج فيه الإلهام والموهبة مع الدربة والتطبع، منطلقا من وقوعه تحت تأثير المنطق الارسطي والفلسفة اليونانية.

وادعاء قدامة بأن له السبق والريادة في نقد الشعر، بمعنى تخليص جيده من رديئه، يتعارض مع ما كان متعارفاً في عصره من مصنفات نقدية في نقد الشعر مثل عيار الشعر لابن طباطبا، ونقد الشعر للناشئ الأكبر المعروف بابن شرشير. وهو بادعائه هذا لا يسيء إلى من سبقه فحسب، بل يسيء إلى شعراء قدماء، وهو واقع تحت تأثير الفلسفة والمنطق الإغريقيين، يقول الدكتور إحسان عباس: ((لا ريب في أن الثقافة اليونانية كانت من أبرز المؤثرات في قدامة بن جعفر فقد كان ممن يشار اليه في علم المنطق وعد من الفلاسفة الفضلاء)).

وقد أشار هذا الباحث أيضاً إلى مسائل من مثل عدم اطلاع قدامة على نقد الشعر في القرن الرابع وتحديد الصفات الإيجابية حسب نظرية الفضيلة الأفلاطونية، والعلاقة بين قدامة وكتاب الشعر لأرسطو وانعدام الاهتمام بالحالة النفسية في نقد قدامة، ولماذا لم يهتم بالسرقات على الرغم من احتفاله بالمعنى[١٦]، وانتهى الى القول: ((ذلك هو قدامة في النقد يقف موقف العالم يسيء الظن بالقارئ فيضع له الأنموذج ليقيس عليه.. لقد اراد أن يكون (معلم) النقد في تاريخ الأدب العربي، كما كان أرسطوطاليس في تاريخ المنطق...كان كتاب قدامة كالمعلم المتزمت.. وإذا كان كتابه قد لقي من المهاجمين أكثر مما لقي من المؤيدين..فإنه يمثل اجتهاداً ذاتياً مدهشاً وقد كان موضع الرضى لدى الذين آمنوا بقيمة الفكر والثقافة الفلسفية)).[١٧]

الخاتمة

ان القراءة عند قدامة فعل ابداعي يوجه القارئ ــ بوصفه تصوراً ذهنياً في مخيلة الناقد وشكلاً ضمنياً في ذاكرة المبدع ــ توجيها واعيا وقصديا بناء على تصميم فكري، وإرادة ثاقبة في تحقيق أهداف غير معلنة، وقد تكون أحيانا مبطنة بدوافع مريبة سواء من حيث الاقتصار على التمثيل على بعض النماذج. الشعرية القديمة أو من حيث ادعاؤه الريادة في وضع كتاب في نقد الشعر، وأن من سبقه كان إما متخيلا او قاصراً ــ على حد وصفه ــ.

ومهما يكن من أمر فإن كتاب (نقد الشعر) يبقى إبداعاً عربياً يعكس التطور المعرفي الذي شهده القرن الرابع للهجرة من ناحية الفكر والثقافة والترجمة، وما إلى ذلك من صنوف الثراء الفكري الذي أغنى الحضارة الإنسانية عموماً.

الهوامش والمصادر

(١) ينظر لسان العرب، ابن منظور/ ج٢ -٩٣٧-٩٣٨.

(٢) نقد الشعر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر تحقيق: كمال مصطفى/ الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٨/١٦.

(٣) ينظر: نقد الشعر/ ١٧٢-١٧٦.

(٤) ينظر: م.ن / ١٧٧-١٨٠.

(٥) ينظر: م.ن / ١٧٧.

(٦) ينظر: م.ن. / ١٨١ ــ ١٨٢.

(٧) م.ن / ١٨٢

(٨) ينظر: م.ن / ١٨٥ ــ ١٨٨

(٩) ينظر: م.ن / ١٨٩ ــ ١٩٩.

(١٠) م.ن / ١٩٩ ــ ٢٠٤.

(١١) ينظر : م.ن / ٢١٣ ــ ٢١٤

(١٢) م.ن / ٢١٤

(١٣) م.ن / ٢١٨

(١٤) ينظر: م.ن / ٢١٦-٢٢٤.

(١٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، الدكتور إحسان عباس دار الشروق للنشر الأردن ١٩٨٦.

(١٦) ينظر: م.ن / ١٩٠-٢١٣.

(١٧) م.ن / ٢١٤.